الجذور التاريخية لمملكة نوميديا

د. محمد الهادى حارش[•]

ملخص

إذا كانت الأصول الأولى لمملكة نوميديا مازال يكتنفها الغموض، فإن سكوت النصوص عن ذلك، لا يعني بالضرورة عدم وجودها أو حداثة نشأتها في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، فقوة المملكة في هذا القرن إقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا، يوحي بقدم نشأتها، هذا القدم الذي مهد لهذا التطور والإزدهار الذي عرفته المملكة في عهد الملك مسينيسا.

فإذا كان كومس يرى في باغا وسيفاكس وريثا ممالك تشكلت وتنامت عبر عصور غابرة، فهو أيضا ما ينطبق على غايا، وبالتالي يمكننا القول أن مملكة نوميديا، تعود إلى عصور موغلة في القدم، قد تعود حتى القرن التاسع ق.م، حيث نجد ذكرا لملك محلي مع اسطورة تأسيس قرطاجة، استطاع أن يفرض ضريبة على هذه المدينة التي ظلت تدفعها حتى وهي قوة بحرية.

Les racines historiques du royaume Numide

Si les premières origines du royaume numide restent encore inconnues, le silence des textes ne veut pas dire nécessairement son inexistence ou sa fondation récente au 3ème siècle AV. JC, la force économique, politique et sociale du royaume 3ème siècle AV. JC nous permettent d’imaginer son existence ancienne, cette ancienneté qui à préparé ce progrès et cette évolution qu’a connue le royaume Numide à l’époque de Massinissa.

Su G. Camps vit en Baga et Syphax des héritiers des royaumes fondaient progressaient à travers les temps anciens, c’est ce que nous pouvons dire de Gaîa, ce qui nous permet de dire que le royaume Numide remonte à des temps très lointains (jusqu’au IX siècle), puisque la légende de la fondation de Carthage parle d’un roi autochtone qui a pu imposer un impôt à Carthage, qu’elle à continuer à payer même après être devenu une puissance maritime.

• الجزائر

لا نعرف بالضبط في أية فترة بدأت تتشكل الممالك المحلية التي تحدثت عنها النصوص الإغريقية و اللاتينية خلال القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ورغم أن هذه النصوص قد أشارت إلى بعض الملوك الذين عاشوا قبل هذه الفترة، لكن دون إعطاء أية تفاصيل،لا فيما يخص امتداد ممالكهم و لا سلطتهم.

أقدم هذه الإشارات نجدها عند يوستينوس[١] الذي حدثنا عن الملك هيرباص(Hiarbas) الذي يكون قد حاول إجبار القرطاجيين على تزويجه بالأميرة عليسة،قبل انتحارها إخلاصا لزوجها الأول عشرباص[٢].

و قد فرض هذا الملك على إثر ذلك ضريبة على القرطاجيين الذين ظلوا يدفعونها للأهالي حتى النصف الثاني من القرن الخامس ق.م، على ما يستشف من نفس المؤرخ[٣]، وهو ما يدل في نظرنا على استمرار هذا النظام.

و في القرن الرابع، تذكر لنا النصوص ملوكا محليين مرتين: المرة الأولى عند يوستينوس[٤] دائما، والذي حدثنا ثانية عن ملك "ماورى" استنجد به حنون عندما حاول الاستيلاء على السلطة في قرطاجة، والثانية عند ديودور الصقلي[٥] الذي أشار إلى تحالف الملك إيليماس(Ailymas) مع أغاثوكليس في ثنايا روايته لحملة هذا الأخير على قرطاجة.

و قد رأى البعض في نص ديودور الصقلي هذا أهمية بالغة،إذ يوحي بأن أراضي هذا الملك تقع في تونس الوسطى؛ في أراضي مجاورة لقرطاجة ما دام هذا التحالف قد تمّ أثناء توجه أغاثوكليس لمحاصرة حضرموت (سوسة)*، و هو ما دفع كومس إلى التساؤل حول هذا الملك، إن لم يكن ماسيليا؟ ورغم اعتقاده ذلك، فهو يرى أنه من المستحيل البرهنة عليه، ويرى في نص معاهدة زاما على حق مسينيسا في استرجاع ممتلكاته و ممتلكات أسلافه دليلا على أن مملكة الماسيل، تعود إلى ما قبل مسينيسا بأجيال عديدة[٦]، كما رأى في نارفاس(Narvas)الذي انضم إلى القرطاجيين أثناء الحرب البونيقية الأولى (٢٦٤-٢٤١ ق م)، بعد أن كان معاديا لهم؛ قائدا ينتمي

---

1 - Justin , Histoire Universelle de trogue de pompée, (2 vol.) , trad, par J.Pierrot et E.Boitard, éd.Panckoucke (Paris 1833), XVIII,6.

2 - Loc.cit.XXI,4.7.

3 - Justin , XIX, 1-2.

-4 Idem, XXI, 4.7

-5 Diodore de sicile, Bibliothèque historique (7 vol.), trad, par A.F.Miot, éd .imp. royaude, (Paris 1834-38), XX,17, et 18.3.

* - أشار نفس المؤلف(ديودور الصقلي) إلى أن عاصمة هذا الملك، كانت مدينة توكاي (Tokai) التي يجمع المؤرخون على اعتبارها هي مدينة ثوق.،حول هذا الموضوع أنظر:

Camps(G.),"Origines du royaume Massyle" R.CH.M, T.3, (19687), p.29.

6 - Camps(G.), Aux origines de la berbéris, Massinissa ou les débuts de l'histoire, imp. officielle (Alger1961), p.159, par suite Massinissa.

إلى العائلة الملكية في نوميديا الشرقية. وهو ما جعله يفترض وجود العائلة التي ينتمي إليها مسينيسا في السلطة منذ القرن الرابع ق.م على الأقل و ورد ذكرها في النصوص بداية من الحرب البونيقية الأولى في نص لهيزياناكس[٧].

إذا كانت الأصول الأولى لمملكة نوميديا ما زال يكتنفها الغموض ،فإن سكوت النصوص عن ذلك لا يعني بالضرورة عدم وجودها،أو حداثة نشأتها في القرن الثالث ق.م فقوة المملكة في هذا القرن اقتصاديا و سياسيا واجتماعيا يوحي بقدم نشأتها، هذا القدم الذي مهّد لهذا التطور والازدهار الذي عرفته المملكة في عهد الملك مسينيسا[٨].

فإذا كان كومس يرى في باغا و سيفاكس وريث ممالك تشكلت و تنامت عبر عصور غابرة[٩]، فهو أيضا ما ينطبق على غايا ،وبالتالي يمكننا القول أن مملكة نوميديا، تعود إلى عصور غابرة، قد تعود حتى القرن التاسع ق.م حيث نجد ذكرا لملك محلي مع أسطورة تأسيس قرطاجة[١٠].

و قد انقسمت مملكة نوميديا في القرن الثالث في ظروف نجهلها إلى قسمين:

١.مملكة نوميديا الغربية(مملكة المازيسيل).

٢.مملكة نوميديا الشرقية(مملكة الماسيل).

١ - مملكة نوميديا الغربية(المازيسيل): نسبة إلى قبائل المازيسيل(Masaesyles)، الذين ظهروا كقوة منذ أواخر القرن الثالث ق.م و أوائل القرن الثاني ،وإن كنّا لا نعرف شيئا تقريبا عن ظروف تشكل هذه المملكة، التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتي كان على رأسها آنذاك الملك سيافكس الذي نعته تيتوس ايفيوس"بالملك الأقوى في كل افريقيا"[١١]، و الذي أمتدت حدود مملكته وفق سترابون من وادي الملوية(Molochath)إلى رأس تريتون[١٢].

من هنا نلاحظ أن هذه المملكة ، كانت تغطي مساحة واسعة،تمتد من شرق المغرب الحالية حتى الشرق الجزائري،وإذا كانت الحدود الغربية ثابتة على ما يبدو من مصادرنا الحالية، فالحدود الشرقية كانت خلافا لذلك، عرفت تغييرات كبيرة، ففي سنة ٢٠٥ ق م، استغل سيافكس الخلافات داخل العائلة الحاكمة في نوميديا الشرقية، ليمد حدوده شرقا حتى قيرطا التي اعتبرها تيتوس ليفيوس إحدى عواصم

---

7 - Hesianax, Fragm.histor.graec.,III,p.70 No11, d'après camps(G.), loc.cit, p.161.

٨- أنظر شنيتي (محمد البشير)، سياسة الرومنة في بلاد المغرب منذ سقوط قرطاجة حتى سقوط موريطانيا القيصرية (١٤٦ ق.م-٤٠م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر ١٩٨٢) ، ص ، ٢٠.

9 Camps(G), Massinissa, p.161.

10 -Supra, p.1

11 - Tite Live, XXX, 12.4;XXX,44.12.

12 - Srabon, XVII,3.9.

سيفاكس سنة ٢٠٣ ق. م[١٣] وهو ما أثار نقاشا كبيرا بين المهتمين بتاريخ المغرب القديم، إذ تساءل كومس، إن كانت قرطاجة ألحقت بالأراضي المازيسيلية في هذه الفترة، أم كانت جزءا من أراضيها منذ السابق؟ و مال قزال إلى الرأي الثاني معتمدا على نص لتيتوس ليفوس يشير إلى استلام مسينيسا قيرطا ومدن أخرى من روما، ضمها إلى ممتلكات أسلافه(Regnum parternum) [١٤] بينما يميل كومس[١٥] إلى الرأي الأول، باعتبار أن كل الإشارات السابقة لسنة ٢٠٥ ق.م تبيّن لنا سيفاكس مكتفيا ببلاد المازيسيل وأكثر اهتماما بمسائل اسبانيا منها بمسائل نوميديا، مما جعله يميل أيضا إلى أن اهتمامات هذا الملك بشؤون نوميديا ذات صلة بالاضطرابات التي حدثت في مملكة الماسيل على إثر اغتيال كابوسا(Capussa) وبالتالي الميل إلى اعتبار سيقا (Siga)العاصمة الحقيقية لمملكة المازيسيل،ولم تكن لقيرطا أهمية كبرى في نظر المازيسيل إلا بعد ضم أراضي الماسيل،وهنا كانت قيرطا في نظره مدعوة للعب دور هام، وأصبحت بذلك العاصمة الشرقية لمملكة سيفاكس[١٦].

هذا حول الحدود الشرقية، أما بخصوص الحدود الجنوبية، فكانت هي الأخرى أكثر غموضا،فالأراضي الخاضعة للمملكة، كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا، وهو ما مكنها من أراضي واسعة، ملائمة سواء للزراعة أو تربية المواشي،و تقدم ظروفا معيشية ملائمة لعدد كثيف من السكان، وهو ما يسمح بدوره بتجنيد و تهيئة جيش كبير و قوي من شأنه أن يصبح أداة فتح[١٧].

ذلك هو شأن مملكة المازيسيل في عهد الملك سيفاكس، الذي ظهر خلال الحرب البونيقية الثانية، كملك كبير من شأنه أن يلعب دورا سياسيا وعسكريا هاما، وهو ما أدركه الرومان و القرطاجيون الذين تسابقوا لكسب رضاه[١٨].

بعد هزيمة سيفاكس و المصير الذي آل إليه،حكم ابنه فيرمينا على ما يفهم من النصوص مدة قصيرة، وضع الماسيل حدا لها، و مدوا حدود مملكتهم حتى حدود موريطانيا.

---

13 -TITE LIVE, XXX, 12.3
14 - Gsell(S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, (8 vol.), éd.Hachette Paris 1913-1928), t.5, p.par suite Gsell, H.A.A.N
15 - Camps(G.), Massinissa, p.168.
16 - Ibid.p.169.
17- Decret (F.), Fantar(M.), L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au V éme siècle, ed.Payot(Paris1981), p.82
18 - Tite Live, XXX, 13.3.

٢- **مملكة نوميديا الشرقية(مملكة الماسيل):** نسبة إلى قبائل الماسيل، التي يبدوا أنها لعبت دورا هاما – و ربما- حاسما على المسرح السياسي عشية وغداة إقصاء قرطاجة.

و قد اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين الملك إيليماس(Ailymas) ،كأقدم ملوك الماسيل[19]، ممّا يسمح لنا ، إضافة إلى قبر المدغاسن[٢٠] الذي ينسب إلى هذه القبائل،باعتبار أن الأسرة التي ينتمي إليها غايا(GAIA) وابنه ماسينيسا، كانت في السلطة منذ أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث ق.م، غير أننا بدأنا نعرف هذه المملكة أفضل خلال القرن الثالث.

في القرن الثالث قبل الميلاد، يبدو أن هذه المملكة كانت تغطي الشرق الجزائري وغرب تونس،لكن حدودها كانت متغيّرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في إفريقيا الشمالية،ويمكننا عموما أن نقول أنها كانت محصورة بين الأراضي القرطاجية في الشرق ومملكة المازيسيل في الغرب.

أما في الجنوب، فكان سلوك قبائل الجيتول يرتبط أساسا بالإمكانيات التي يتوفر عليها ملك الماسيل لمدّ نفوذه على قبائل الرحل هذه.

كانت سلطة ملك الماسيل في بداية الحروب البونيقية، تمتد على الأوراس و الشرق القسنطيني و الظهر التونسية، والجزء الأكبر من مجردة الوسطى ،وكذا أراضي الاستبس التي تحاذي السرت الصغرى في حدود أراضي الجرامانت[٢١].

مهما كان امتدادها، فمملكة الماسيل كانت تغطي مناطق غنية،تشكل وحدة متماسكة أكثر من المنطقة الغربية على رأي البعض[٢٢] منطقة جبلية و غابية ملائمة للمواشي الضخمة، إضافة إلى كونها تمتلك في مناطق الهضاب والسفوح أراضي ملائمة جدا للحبوب.

في الهضاب العليا و حتى على السفوح الجبلية الجنوبية كانت الزراعات تحتل مساحات هامة، وهو ما تكشفه لنا المقابر النوميدية التي تدل على وجود سكان ريفيين مرتبطين بالأرض أكثر من سكان المناطق الغربية، إلى جانب كل هذه المزايا الطبيعية، يمكن الإشارة إلى قرب الأراضي القرطاجية التي يمكن الاستفادة من عوامل النهضة والتنمية بها[٢٣].

بعد الحرب البونيقية، تمكن مسينيسا الذي حمل شعار " افريقيا للأفارقة" من أن يعيد الوحدة السياسية لنوميديا التي امتدت حدودها في عهده من وادي الملوية غربا

---

19 - Camps(G.), Massinissa, pp.159 et 177.

٢٠- يؤرخ ما بين أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الثالث قبل الميلاد.

21 - Decret(F.), Fabtar(M.), op.cit., p.100.

22 - Camps(G.), Massinissa, p.175.

23 - Decret(F.), Fantar(M.), op.cit.p.100.

إلى السيرت الكبير شرقا[٢٤]، وفي هذه المملكة المترامية الأطراف ،حكم و خلفاؤه مـا يقارب القرن والنصف القرن من الزمن.

مملكة نوميديا بعد مسينيسا:

في سنة ١٤٨ ق.م ، وخلال الحرب البونيقية الثالثة، انتقل مسينيسا إلـى عـالم الأموات بعد أزيد من نصف قرن من الحكم ،تمكن خلاله من تغيير وجـه الخريطـة السياسية لنوميديا التي امتدت في عهده من وادي الملوية غربا إلـى معابـد فيلينـوس شرقا[٢٥].

بوفاة مسينيسا خلفه أبناؤه الثلاثة مكيبـسا (Micipsa-MKW'SN) غلوسـة (GULUSSA-G'l'SN) ومصطنبعل (M'S'TN'BL) الذين وزعوا المهـام بيـنهم، فتكفل الابن الأكبر مكيبسا بالشؤون الإدارية و مصطنبعل بالقضاء، بينما تولى غلوسـة الشؤون العسكرية، قبل أن ينفرد الأول بالحكم، بعد وفاة شقيقيه حوالي سنة ١٤٠ ق.م على ما يفهم من النصوص.

لم يحظ عهد مكيبسا باهتمام المؤرخين الإغريق و الرومان،نظرا لعدم اهتمـام هؤلاء بالمنطقة المغاربية،إلا عندما تكـون محـل احتكـاك بالـشعبين الإغريقـي و الروماني.

الصمت الذي خيّم على عهد مكيبسا، دفع بعض المؤرخين إلـى تقديمـه فـي صورة الملك الخاضع لروما[٢٦]، غير أننا لا نستبعد أن يكون هذا الصمت نـاتج عـن سيادة الاستقرار في نوميديا في عهد هذا الملك، فقد استطاع طيلة ثلاثين سنة من الحكم (١٤٨-١١٨ ق.م) أن يسيطر على كامل نوميديا من السيرت الكبير شرقا إلـى وادي الملوية غربا، كما احتفظ بعلاقات الود مع موريطانيا في الغرب و الرومان في الشرق، فلم نسمع بثورات محلية في عهده و لا صراعات خارجية ،مما سمح له فـي رأينـا بالانصراف إلى البناء الداخلي،ومواصلة البناء الحضاري الذي بدأه والده، فقـد جمّـل عاصمته قيرطا، كما اهتم بالعلم و العلماء على ما تذكر مصادرنا[٢٧].

رغم تخلي مكيبسا عن سياسة والده التوسعية ،فقد واصل سياسته في النهـوض بمرافق البلاد الاقتصادية ،وتشجيع حياة الاستقرار ،وهو ما تؤكده النقوش التي يبـدو من خلالها أن الفلاحة حظيت بعناية هذا الملك، إذ يشير نقش شرشال إلى أن مكيبسا قد شيّد العديد من القرى، و كوّن ضيعا ذات مدخول وافر، كما اهتم بالمنـاطق الغربيـة من نوميديا،وهي المناطق التي يرى كومس[٢٨] أنها بدأت تؤدي دورا أساسيا في عهده،

٢٤- أنظر الخريطة رقم ١ ، ص ، ١١.

25 - Supra, p.6.

26- CF.Carcopino(J.), La république romaine (133-44 AV.JC), éd.P.U.F., Paris 1935-1950), p.

27- Strabon , XVII, 13.

28 - Camps(G.), Massinissa, P.40.

و هذا دون إهمال المناطق الشرقية، و في عهد هذا الملك، تحركت عجلة النمو، فخرجت مدن مثل باجة ودوقة من عزلتها ، بالإضافة إلى تالة و قفصة وأصبحت كلها مدنا محصنة، تستقبل كنوز الملك، وتتكدس في خزائنها مداخيل الضرائب و المكوس[٢٩]، كما نشطت حركة التجارة، وأصبحت قيرطا في عهده مركزا تجاريا كبيرا يؤمه الأهالي الذين يأتونه من كل صوب على ما يذكر سترابون[٣٠].

إن اهتمام مكيبسا بالمجال الاقتصادي. لم يحل دون الاهتمام بالمجال العسكري والعمراني، فيذكر سترابون أنه بالإضافة إلى تحصين قيرطا و تزيينها وإنشاء القصور بها، فقد جعلها في وضع تستطيع معه تجنيد عشرة آلاف فارس وضعف هذا العدد من المشاة[٣١]. و هو ما جعل جوليان[٣٢] يتساءل إن لم تكن محاولة تعمير إفريقيا بالايطاليين التي قام بها كراكوس (GRACHUS) موجهة ضده، وهو أيضا ما نجده عند هشام الصفدي الذي يرى أن قوة مكيبسا المتزايدة هي التي أثارت مخاوف الرومان[٣٣].

كل هذه الأعمال جعلت كومس يعلق على عهد مكيبسا قائلا:"إن ثلاثين سنة من السلم، جعلت من عهد مكيبسا أكثر عهود المملكة النوميدية نفعا، و إن لم يكن أكثرها بريقا." (٣٤).

توفي مكيبسا عن سن متقدمة تاركا مملكة قوية مترامية الأطراف لأبنائه، بعد أن أوصاهم على الوحدة و التعاون: " إني تارك لكم عرشا قويا، إن أحسنت سياستكم، ضعيفا إن لم تحسنوها، فبالوحدة والاتفاق تقوى الدول الصغيرة،وبالتفرقة تنهار أعظم الدول"[٣٥] لكن الأخطار المحدقة بالمملكة كانت أكبر من محتوى الوصية التي تحمل في طياتها كثيرا من المعاني الفلسفية الصعبة التحقيق في الواقع[٣٦] إذ ترك مكيبسا بعد وفاته ولدين [٣٧]هما : عزربعل (Adherbal) هيمبصال (Hiempsal)، كما تبنى

29- CF.Sallustius,Bel.JUG.

30 - Stabon, XVII,3.13;Gsell,Atlas archéologique de l'Algérie, (2 vol.), éd.Frontomaing(Alger-Paris1911) P1.17,P.10

31 - Srabon, Loc.cit.

٣٢- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية (جزءان)، تعريب محمد مزالي ، بشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (تونس ١٩٦٩) ، الجزء الأول ، ص ١٥٥.

٣٣- هشام الصفدي ، تاريخ الرومان، (في العصور الملكية- الجمهورية- الإمبراطورية حتى عهد الإمبراطور قسطنطين) ،دار الفكر الحديث، ط.١ ، (لبنان ١٩٦٧) الجزء الأزول، ص ٢٢٧.

34 - Camps(G), Massinissa, p.250.

35 - Sallustius, Bellum Jugurthinum,trad.par Richard(F.), éd.Flammarion(Paris1966) ch.X.5 par suite Bel .Jug.)

٣٦- أنظر الخطاب الكامل في حرب يوغرطة لسالوستيوس ، الفقرة ١٠.

٣٧- خلافا لديودور الصقلي الذي يقول أن مكيبسا خلف أبناء كثيرين ، لكنه كان يفضل عزربعل و هيمبصال (المكتبة التاريخية XXXIV ، ١٣).

يوغرطة ابن شقيقه مصطنبعل (Mastanabal) ، الذي جعل منه و ريثا مثله مثل ولديه[٣٨] وبذلك يتشكل الحكم الثلاثي الثاني[٣٩].

وكان الاختلاف في ميول و شخصيات هؤلاء على ما يصفهم سالوستيوس[٤٠] وراء نشوب الخلاف بمجرد العودة من مراسم الجنازة،إذا اجتمع الأمراء الثلاثة للنظر في شؤون المملكة،لكن خلافا شبّ بينهم،ولم يتمكنوا من التوصل إلى حل غير التقسيم، فاتفقوا على تقسيم المملكة و الأموال، وهو ما كان يخالف رغبة يوغرطة الذي أرسل من اغتال هيميصال سنة ١١٧ ق.م[٤١].

أثار اغتيال هيمصال على ما يذكر سالوستيوس[٤٢] ضجة في نوميديا، انقسم النوميديون على إثرها إلى معسكرين:الأغلبية مع عزربعل، لكن أفضل الجنود كانوا من جهة يوغرطة، الذي أخضع عددا من المدن النوميدية بعضها بالقوة، و بعضها الآخر رضيت بالتبعية له طواعية[٤٣]، وأوشك أن يخضع كامل نوميديا،عندما أرسل عزربعل وفدا إلى روما يخبرها بمقتل أخيه، ويحيطها علما بالوضع السائد في نوميديا، في الوقت الذي تهيأ فيه للعمل العسكري[٤٤]. لكن قواته ستنهار في أول اصطدام لها مع قوات يوغرطة، مما يضطره إلى اللجوء إلى الولاية الرومانية، ومنها إلى روما سنة ١١٦ ق.م[٤٥]، كما أرسل يوغرطة بدوره وفدا لشرح موقفه على ما يذكر سالوستيوس، و هذا بعد أن أصبح سيد نوميديا[٤٦].

ندد عزربعل في مجلس الشيوخ بأعمال يوغرطة،وحاول إبراز خطورة نواياه، كما حاول كسب أعضاء مجلس الشيوخ إلى جانبه،بإظهار تبعيته المطلقة لروما التي طلب منها العون و المساعدة بكلمات كلها تملق واستعطاف في خطاب مطول نقله لنا سالوستيوس[٤٧].

---

38 - Bel.Jug., IX.

٣٩ - الحكم الثلاثي الأول، هو المكون من: مكيبسا ، غلوسة، مصطنبعل (١٤٨-١٤٠ ق.م).

٤٠ - يتصف يوغرطة بالحيوية و النشاط ،و حب العمل العسكري، خلافا لعزربعل المسالم الميال إلى الحياة الهادئة، مما جعل سالوستيوس يقول عنه :" يخاف أكثر مما يخيف".

41 - Sallustius, Bel.Jug.X; Florus, Abrégé de l'histoire romaine, trad.

٤٢ -سالوستيوس ، حرب يوغرطة، ١٣.

٤٣ - نفسه

٤٤ - نفسه.

٤٥ - نفسه.

46 Sallustius, 13; Florus, III, 1 ; Gsell (S.), H.A.A.A, t.7, p.143.

٤٧ - سالوستيوس، حرب يوغرطة ، ١٤؛لا شك أنه خطاب من وضع سالوستيول رواه على لسان عزربعل، وهي عادة معهودة لدى المؤرخين القدامى، نجدها عند ليفيوس و ثوكيديدس الذي صاغ عدة خطب على لسان بطله بريكليس، لكن مع ذلك ، فهذه الخطب ربما تتضمن بعض الحقائق التاريخية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

أما ممثلوا يوغرطة، فقد أوجزوا القول، و ذكروا فقط أن هيميصال ذهبت ضحية قساوته،أما عزرس، فهو البادئ بالعدوان بدون مبرر، كما طالب الوفد بالحكم على يوغرطة حسب أعماله، لا أقوال أعدائه[٤٨].

قرر مجلس الشيوخ بعد التداول إرسال وفد يتكون من عشرة ممثلين رومان برئاسة لوكيوس أوبيميوس((L.Opimius) ، بهدف تقسيم المملكة النوميدية بين يوغرطة وعزربعل،فتمّ تقسيم المملكة بين الشقيقين أواخر سنة ١١٦ ق.م[٤٩]. حيث حصلّ يوغرطة على الجزء الغربي ،وعزربعل على الجزء الشرقي.

يحاول سالوستيوس الإيحاء لنا أن يوغرطة انتفع من هذا التقسيم، باعتبار القسم الغربي من نوميديا الذي حصل عليه يوغرطة أكثر ثراء وأوفر سكانا، خلافا للقسم الشرقي الذي حصل عليه عزربعل العديم الفائدة في نظره رغم كثرة المدن والموانئ[٥٠]. لكن ما ذهب إليه سالوستيوس هنا يتنافى و الواقع التاريخي، فالمنطقة الشرقية أكثر ثراء وأوفر عمرانا، استفادت من وسائل الاستثمار أكثر من المنطقة الغربية[٥١] [٥٢]، فإخفاء سالوستيوس للحقيقة هنا، يجعلنا نتساءل عن الدواعي الحقيقية التي كانت وراء هذا التقسيم؟ ولا نستبعد ن يكون في منح المنطقة الشرقية لعزربعل إبعادا ليوغرطة الذي لا تطمئن روما إلى مجاورته؛ خلافا لعزربعل المسالم، فتكون هذه القاعدة من وجهة نظرنا هي التي تحكمت في التقسيم،وليست الرشوة التي اتخذ منها سالوستيوس مطية لمهاجمة النبلاء الذين وقفوا في وجهه في العديد من المناسبات.

رغم تظاهر يوغرطة بقبول هذا التقسيم على ما يفهم من سالوستيوس[٥٣] إلا أنه عمليا بدأ يفكر في غزو ممتلكات عزربعل و السيطرة عليها، وهو ما قام به فعلا عندما قام بحملة فجائية،عاد على اثرها بغنائم وفيرة و أسرى كثيرين،على أمل أن يلحق به عزربعل، ويجد بذلك مبررا للحرب[٥٤] لكن الحيلة لم تنطل على عزربعل هذه المرة، وهو ما دفع يوغرطة إلى تكرار العملية، وباغت جيش عزربعل، مما أدّى

---

٤٨ - سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، ١٥.

49 - Carcopino(J.), op.cit .p

٥٠- سالوستيوس ، حرب يوغرطة، ١٦.

51 Saumgne(Ch), La Numidie et Rome, Massinissa et Juguertha, éd.P.U.F.(Paris1966), pp.147-149.

٥٢ - يذكر سالوستيوس (الفقرة٥) أن سبب اختيار موضوع حرب يوغرطة ،هو شدة و ضراوة هذه الحرب و عنفها،زد على ذلك ظهور ،لأول مرة مواجهة ضد النبلاء الطغاة .

٥٣ -. سالوستيوس ،حرب يوغرطة، ٢٠.

54 - CF.Dureau de la Malle, L'Algérie, ou Manuel algérien, éd.Firmindidot(Paris1950)p.38

بهذا الأخير الى الانسحاب نحو قيرطا ١١٣ ق.م، التي حاول يوغرطة الاستيلاء عليها قبل عودة الوفد الذي أرسله عزربعل إلى روما[٥٥].

إن وصول الوفد الروماني الذي ترأسه سكاوروس(Scaurus) لم يحل المشكل، إذ لم يسمح له يوغرطة بالدخول إلى قيرطا[٥٦] التي استمر حصارها لمدة خمسة أشهر، شعر أثناءها عزربعل بضرورة توجيه نداء آخر إلى روما التي لم تتوان في إرسال وفد آخر، وبفشل هذا الوفد في مهمته ،طلبت الجالية الايطالية في المدينة من عزربعل الاستسلام في صائفة ١١٢ ق.م بعد حصار دام خمسة عشر شهرا[٥٧].

إن دخول يوغرطة مدينة قيرطا،وعدم رفقه بالجالية الايطالية على ما يفهم من سالوستيوس،كان وراء إعلان روما الحرب عليه، وهي الحرب التي تنتهي في خريف سنة ١٠٥ ق.م، بالقبض على يوغرطة،بعد المؤامرة التي شارك فيها صهره بوخوس،ملك موريطانيا[٥٨].

لم تؤد الحرب الطويلة التي خاضها الرومان ضد يوغرطة إلى توسعات إقليمية لصالحهم ،والظاهر أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع الداخلية الناجمة عن الصراع الاجتماعي بالإضافة إلى الحروب الخارجية؛ إذ لم تكد تنتهي حرب يوغرطة،حتى اندلعت الحرب في غالة[٥٩] لكن ذلك لم يمنع حدوث تغير على الخريطة السياسية لنوميديا، إذ استحوذ بوخوس على الجزء الأكبر من نوميديا، بعد أن امتدت حدود مويطانيا على ما يرى بعض المؤرخين حتى صلداي[٦٠]. و هذا جزاء تعاونه مع الرومان ،واستجابة لرغبته ووعد سولا[٦١]ـ بينما نصب غودا، شقيق يوغرطة على الجزء المتبقي من نوميديا[٦٢].

لا نعرف شيئا يذكر على عهد هذا الملك،كما لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته، ويمكننا القول و بدون تردد أن الفترة الفاصلة بين هزيمة يوغرطة و حملة يوليوس قيصر على إفريقيا،تعد أكثر فترات الشمال الإفريقي غموضا، لكن الثابت أنه لم يكن

---

55 - Sallustius, Bel.Jug., 21.

٥٦- يذكر كاركو بينو أن الوفد عاد إلى روما دون أن يسمع إليه، و لا حتى الاتصال بعزربعل ،أنظر المرجع السابق، ص٢٨٩

57-نفسه.

58- . Sallustius, Bel.Tug.26-28

٥٩ -سالوستيوس ، حرب يوغرطة، ١١٤.

60 - C.F.Poulle, "A travers la Maurétanie setifienne, .R.A.S. (1863), p.89; Mommsen(th), Histoire romaine, t.s.p.117.

٦١ - سالوستيوس ، حرب يوغرطة، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ؛ بلوتارخوس،حياة ماريوس، ٥٨.

62 - Gsell(S.), H.A.A.N, T.7, pp.262-63

على قيد الحياة سنة ٨٨ ق.م، فعندما فرّ ماريوس إلى إفريقيا في هذه السنة (٦٣) كانت نوميديا تحت حكم ابنه هيمبصال الثاني (٦٤).

هذا الأخير الذي ساند أنصار سولا، مما كلفه الإبعاد عن العرش من طرف هيرباص الذي وقف إلى جانب أتباع ماريوس، و لم يعد إليه إلا بعد انتهاء الصراع بانتصار بومبيوس قاهر أتباع ماريوس في افريقيا(٦٥).

يرى بعض المؤرخين أن هيمبصال يكون قد حكم في أقصى المناطق الشرقية من نوميديا،وهذا استنادا إلى الأحداث التي جرّت في المنطقة التي عرفت فيما بعد بـ- المزاق أثناء الصراع بين ماريوس وسولا(٦٦) وهو ما يراه مومسن أيضا معتمدا على كون موريطانيا تمّ توسيعها مرتين على حساب نوميديا(٦٧).

١- إثر هزيمة يوغرطة، استحوذت يومها على ما عرف فيما بعد بموريطانيا القيصرية، التي امتدت حدودها حتى صلداي (بجاية) على ما يفهم من سترابون الذي يقول أن هذه المدينة كانت تمثل الحد الفاصل بين ممتلكات يوبا (الثاني) و الممتلكات الرومانية(٦٨).

٢- إثر هزيمة يوبا الأول في معركة تابسوس سنة ٤٦ ق.م حيث توسعت موريطانيا للمرة الثانية، وأخذ بوخوس الثاني(٦٩). ما يعرف فيما بعد بموريطانيا السطايفية جزاء وقوفه إلى جانب قيصر ضد أعوان يومبيوس(٧٠). بينما يكون هيرباص قد حكم إلى الغرب من مملكة هيمبصال الثاني، في المنطقة المحاذية لقيرطا،وكانت عاصمته بولا- ريجيا (Bulla-Rogia) (٧١).

اتخاذ هيرباص من بولا – ريجيا عاصمة له عوض قيرطا، دفع بول (Poulle) إلى افتراض وجود أمير ثالث يحكم من قيرطا البلاد الواقعة بين أمساقا

٦٣- فرّ ماريوس من روما سنة ٨٨ ق م إلى افريقيا ،أثناء الصراع بينه و بين سولا ، بعد سيطرة هذا الأخير على روما، حول هذا الصراع ،أنظر بلوتارخوس ، حياة ماريوس، ٧٢ ، ٧٤.

٦٤ - نفسه : أنظر أيضا أبيانوس ، الحرب المدنية ، I ، ٧ ، ٦٢.

65- Plutarque, Vie de Marius, 20.

66 - Poulle, op.cit., p.70.

67- Mommsen(th), op.cit, p.117, n°1 et p.333

68 - Strabon , XVII, 3, 12.

٦٩- بعد وفاة بوخوس الأول سنة ٦٠ ق.م ، تولى ابنه سوزوس (sosus) الذي حكم من وليلى موريطانيا الموسعة في عهد والده،والتي امتدت حدودها حتى وادي الساحل(الصومام) حول هذا الموضوع أنظر: Desanges(J.), "Les Territoires Getules de Juba II" R.E.A, t.66 (1964), p.42.

70 - Mommsen(th), op.cit., p.117, no1 et p.333;Desanges(J.), "Permanence d'une structure indigéne en marge de l'administration romaine:La Numidie traditionnelle"Antiquités Africaines,t.15, (1980), p.79.

-71 CF.Poulle(A), op.cit.,p.89.

(وادي الكبير وصلداي(بجاية)،إذ لم يجد مبررا لتخلي هيرباص عن قيرطا الحصينة و الشهيرة، لصالح مدينة مغمورة،تقع على مرمى حجر من الولاية الرومانية[٧٢].

قد نجد ما يدعم رأي بول هذا عند شيشرون الذي يتحدث عن مملكة ماستانيسوسوس(Mastanesosus)، التي مرّ بها واتينيوس(Vatinius) سنة ٦٢ ق.م،وهو في طريقه إلى اسبانيا[٧٣]. و قد يكون هو الذي ذكره أبيانوس باسم" ماساناس"[٧٤](Masanasse)، و الذي نجده على قطعة نقدية، ماستينيسا(Masténissa)، وفق قراءة شاريي[٧٥](Charrier)، وهو ما أدّى إلى غموض كبير في الأمر، جعل قزال يتساءل، إن كان الأمر يتعلق بثلاثة أمراء مختلفين متتابعين، أم أن الأمر يتعلق بأمير واحد[٧٦].

والوجهة الأخيرة هي التي يميل إليها مازار[٧٧](Mazard) ، الذي يرى أنه لا يعقل أن يحكم ثلاثة أمراء في نفس المنطقة، وفي فترة وجيزة جدا، زيادة على التشابه في الاسم، وبالتالي يرجح وجود أمير واحد هو ماستينيسيا.

إذا افترضنا أن ذلك صحيح، فمن هو ماستينيسا هذا؟ في نظر بول[٧٨]، الجواب يكمن في تتبع أحداث قصة ماسنتا(Masintha)، التي رواها سويتونيوس، ودفاع يوليوس قيصر عن هذا الأمير في روما ضد هيمبصال الثاني، فبعد الحكم على ماسنتا، لم يعد إلى افريقيا، لكن ومع ذلك فهيمبصال لم يضم أراضيه إلى مملكته،وظل يحكم وابنه من بعده من زاما - ريجيا[٧٩]، وممّا يدعم هذا في رأي بول ما ذكره أبيانوس[٨٠] من استلام ستيوس(Sitius) لأحسن أراضي ماساناس(Masanasse) صديق و حليف يوبا الأول،جزاء مساندته لقيصر[٨١]، فيكون بالتالي ماستينيسا(Mastinissa) هذا هو

---

72 - Loc.cit.

73 - Ciceron, Vatinius,5, trad.M.Gueroult, éd.Panckouck(Paris 1932).

74 - Appianus, Civil Wars, N,54 IV,54.

75 - Charrier(L.), Description de Monnaies de la Numidie et Maurétanie et leur prix basé sur le degré de leur rareté, (Bone 1886), p.18.

76 - Mazard(J.), "Numismatique des rois Massyle" , Cahiers Byrsa, t.3, (1953), p.92.

77 - Mazard (J.), « Numismatique des rois Massyle », Cahiers Byrsa, T. 3, (1953), p.92.

78 -Poulle(A.)op.cit.p.80

٧٩- و هو ما يؤكده كوتوريني(Kontorini) الذي يقول أن هيمبصال الثاني وابنه يوبا الأول ، لم يحكما كامل نوميديا،وأن دولتهما كانت تفصلها عن موريطانيا مملكة أخرى، أنظر:
Kontorino(V.N.),"Le roi Hiempsal II de Numidie et Rhodes"Antiquités classiques, t.44(1975), p.97.

80 - Appianus, The civil wars, IV, 54.

٨١ - استلم ستيوس من قيصر قسما من ممتلكات ماستينيسا ،والقسم الآخر استلمه يوخوس الثاني، و بذلك مدّ هذا الأخير حدود موريطانيا حتى وادي أمساقا، بينما لجأ أرابيون ابن ماستينيسا إلى اسبانيا رفقة باقي أنصار بومبيوس

شقيق ماسنتا(Masintha). يكون قد مكنّه الاعتراف بتبعيته لهيمبصال أو ابنـــه يوبـــا الأول من الحصول على مملكة شقيقه[٨٢].

ويمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن ماستانيسوس عند شيشرون وماســـاناس عند أبيانوس،هو أمير واحد المذكور على قطعة نقدية في شكل(MSTNS)، وهو مـــا جعل البعض يميل إلى تسميته بماستينيسا(Mastenissa)، و أن هذا الأمير كان يحكــم في المنطقة الغربية من مملكة هيمبصال الثاني،الممتدة من طبرقة إلى صـــلداي[٨٣]، و هذا بعد أن أبعد شقيقه ماسنتا من الحكم بعد خروجه عن طاعة هيمبصال الثاني، رغــم دفاع قيصر عنه.

انحاز هيمبصال- كما رأينا- في الصراع الدائر بين سولا وماريوس إلى هـــذا الأخير ،أما هيرياص، فقد ناصـــر أتبـــاع مـــاريوس ،واســـتطاع عـــزل هيمبـــصال وماستينيسا،لكن كان من الصعب على سولا أن يترك إفريقيا في

قبضة منافسه وأتباعه و هي المعروفة بمطمورة روما[٨٤]، فأسرع بعد استيلاء بومبيوس[٨٥] (pompeius) على صقلية، بإرساله إلى إفريقيا فـــي أكتـــوبر ٨١ ق.م لمحاربة دوميسيوس (Domitius Aenobarbus) و هيرباص مناصري ماريوس،وقد استطاع التخلص منهما وإخضاع المنطقة لنفوذ سولا في خلال أربعين يوما علـــى مـــا يذكر بلوتارخوس[٨٦].

كان بومبيوس قد انتقل إلى إفريقيا على رأس ستة فيالق،كمـــا انـــضمت إليـــه مجموعة من أنصار ماريوس على ما يذكر بلوتارخوس[٨٧]، لكن مع ذلك، فقد كان مع دوميسيوس يوم المعركة التي جرت غير بعيد عن أوتيكا، عـــشرون ألـــف(٢٠,٠٠٠) محارب[٨٨] ، معظمهم من رجال هيرباص،إن لم يكونوا كلهـــم[٨٩]، ورغـــم عـــدول دوميسيوس عن خوض المعركة نتيجة غزارة الأمطار و الرياح القوية، و همّ بـــالعودة إلى المعسكر،غير أن بومبيوس وجد الفرصة مواتية،وتحرك بـــسرعة مفاجئـــا قـــوات

---

82 - Poulle(A.), op.cit.pp.88-89.

83 - Charrier(G.), op.cit.p.18.

84 - Gilbert-charles Picard, "Néron et le blé d'Afrique" , Les Cahiers de tunisie, t.4,(1956), p.168;Lacrois(F), "Afrique ancienne: Produits végetaux" Rev.Africaine, t.13, 1869, p.9

٨٥ - بوسبيوس الكبير (كينيوس بومبيوس ماقنوس) قائد و سياســـي رومـــاني(١٠٦-٤٨ ق.م)،مـــن أنصار ماريوس ، لكنه التحق بسولا على اثر عودة هذا الأخير من افريقيا سنة ٨٣ ق.م ، قام بحملة على صقلية و على إفريقيا ضد أنصار ماريوس سنة ٨٢ ق.م ، عيّن قنصلا لسنة ٧٠ ق.م ، وبعـــد الحكم الثلاثي رفقة قيصر و كراسوس ، يدخل في صراع مع قيصر بعد وفاة كراســـوس ســـنة ٥٣ ق.م، وهو الصراع الذي يؤدي إلى مقتله بعد معركة فارسالوس سنة ٤٨ ق.م.

86 - Plutarque, Vie de Pompée, 20.

-87 ٢Plutarque, Vie de Pompée,

٨٨- نفسه ، ١٢.

89 - CF.Gsell(S.), H.A.A.N, t.7 , p.265; Poulle (A.), op.cit, p.79.

دوميسيوس التي كانت تسير في غير نظام، وكبّدها خسائر كبيرة، إذ لم ينج من العشرين ألف غير ثلاثة آلاف بناء على ما يذكر بلوتارخوس[٩٠]، و يؤكده أوروسيوس الذي يقول أن دومسيوس فقد في المعركة ثمانية عشر ألف مقاتل[٩١]، و هو ما شجع بومبيوس على مواصلة الزحف على معسكر دومسيوس، فاستولى عليه بعد مقتل هذا الأخير ،وشرع بعدها في إخضاع باقي مدن الولاية الرومانية،التي أخضع بعضها بالقوة،وبعضها الآخر انضمت إليه طواعية[٩٢].

يبدو على ضوء بعض المصادر أن هيرباص يكون قد شارك في هذه المعركة، و نجا منها فطارده بومبيوس نحو الأراضي الموريطانية، حيث كان يقارعه أيضا بوغود[٩٣] (Bogud) الذي جاء لمساعدة أتباع سولا، فكان الاصطدام بين الطرفين الذي فقد فيه هيرباص معظم قواته،وحاول بعدها العودة إلى بولا- ريجيا و التحصّن بها، لكن المدينة استسلمت إلى بوغود الذي اغتاله أواخر سنة ٨١ ق.م[٩٤].

بانتصار أتباع سولا، عاد هيمبصال الثاني وماستينيسا إلى الحكم ،كما ضمّ الأول مملكة هيرباص مع إخضاع الجيتول لحكمه[٩٥].

حكم هيمبصال بعد عودته إلى الحكم، ما لا يقل عن عشرين سنة أخرى، و امتدت المملكة في عهده لتشمل أراضي الجيتول[٩٦]. وكذا كل الأراضي الساحلية بين لمطة و لبدة، أما امتدادها غربا، فيصعب تحديده، وكل ما نستطيع قوله أنها امتدت إلى غرب الممتلكات الرومانية، وكانت زاما- ريجيا إحدى عواصمها على عهد ابنه يوبا الأول،وكذلك قيرطا[٩٧]، مما يجعلنا نفكر في مد حدودها حتى صلداي (بجاية) [٩٨]، التي استمرت عبادة هيمبصال في ضواحيها منتشرة بعد وفاته بمدة طويلة.

---

90 - Plutarque, Loc.cit.

٩١- أوروسيوس (باولوس)، تاريخ العالم ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق و تقديم عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،(بيروت ١٩٨٢)، الكتاب V ،٢١.

92 - Plutarque, Loc.cit.

٩٣ - يوغود هو ابن بوخوس ملك موريطانيا ،كان من المعجبين بسولا و مناصرا له.

94 - Cf.Plutarque, Vie de pompée, 12; Orosius, v.21,14;Tite live, LXXXIX; Eutropius,V.9,1

95 - Mommsen(th.), Histoire romaine, t.s, p.342.

96 - CF.Lucain(N.A)Pharsale(2vol.), trad.ph.charles- groslou, (Paris1835-36), L.IV,p.225.

97 - Pour Zama voir Gsell(S.), H.A.A.N, t.5,p.269., No2, et pour Cirta, Id,, t.7, p.290.

٩٨-قد يكون هذا أقصى امتداد بحكم وجود ممتلكات بوخوس إلى الغرب من ذلك،أما قول لوكانوس بامتدادها من الأطلس الصغير إلى معبد أمون،فهو مجرد سعة خيال شاعر، رغم ما نجده عند سترابون من قوله أن مملكة سفاكس على عهده كانت من نصيب يوبا الأول،أنظر سترابون،XVII،٣،٩.

احتفظ هيمبصال بالعلاقات الطيبة التي كانت تربطه بالرومان، طيلة المدة التي قضاها في الحكم، وهو ما يفهم من قول شيشرون أن هيمبصال لقب بلقب:" الملك الحليف"[٩٩].

بوفاة هيمبصال[١٠٠]، خلفه ابنه يوبا الأول، وخلافا لأبيه على ما يذكر صاحب التاريخ القديم لشمال افريقيا[١٠١]، كان يوبا الأول محبا للظهور، ميالا للحرب، نجده مثلا يقوم بحملات كبيرة ضد القبائل المتمردة،وتوسع في اقليم لبدة ،وحاصر المدينة (لبدة) التي كانت حليفة روما ،مما أدّى إلى تدخل هذه الأخيرة بعد الشكاوى التي تقدمت بها لبدة[١٠٢]، كما كان على خلاف مع ملكي موريطانيا بوخوس وبوغود[١٠٣].

لم يكتف يوبا الأول على ما يفهم من بعض المؤرخين بتزيين عاصمته زاما بقصور فاخرة[١٠٤]، بل جعلها أيضا مكانا حصينا تحيط بها أسوار ثلاثية تضمن له ملجأ منيعا وقت الحاجة،ومما يدل على سياسته هذه، أننا نجده بعد مدة طويلة من الحكم لم يحصل على لقب" صديق و حليف الشعب الروماني" من مجلس الشيوخ، بل أكثر من ذلك ، نجد ممثل العامة لسنة ٥٠ ق.م كيريو(Curion) يضع مشروع قانون يرمي إلى حظر مملكة نوميديا[١٠٥]، رغم أننا لا ندري ما هي الذرائع و الأسباب التي دفعت كيريو إلى مثل هذا التصرف على أنه يفهم من مومسن((Mommsen)، أن الخلافات بين العائلة الحاكمة في نوميديا و أنصار قيصر قديمة، تعود إلى عهد هيمبصال الثاني، الذي كانت له خلافات كبيرة مع قيصر[١٠٦]،ولا نستبعد أن تكون قضية ماسنتا (Masintha) ، الذي دافع عنه قيصر وراء هذه العداوة ،هذا من جهة، كما لا نستبعد أن تكون تصرفات يوبا الأول هي الأخرى، قد أثارت مخاوف كيريو ومن ورائه

---

99 - Ciceron(M.Tulius), Sur la loi agraire, trad.A.Boulanger, éd.Les belles- lettres(Paris1921p, liv.II.22, 58.

١٠٠- لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته ، على أن مرسية (Mercier) يذكر أن ذلك كان سنة ٥٠ ق.م ، لكن دون أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه الخبر، أنظر:

Mercier(E.), Histoire de l'Afrique septentrionale(Berberie) depuis les temps les plus reculées jusqu'à la conquête Française de 1830.(3vol.)éd.Leroux(Paris1888), t.1p.74.

أما كونتوريني الذي يضع حكم هيمبصال الثاني بين ٨٨ -٦٢ ق.م معتمدا على أول نص ذكره و آخر نص، فيذكر أن المؤكد هو أن يوبا الأول كان على العرش سنة ٥٠ق.م ، مع احتمال أن يكون ذلك منذ مدة طويلة حول هذا الموضوع أنظر:

Kontorini(V.N), op.cit.p.95.

101 - Gsell(S.), H.A.A.N, T.7, pp. 292-93.

102 - C.F.Cesar(J.)La guerre d'Afrique, trad.A.Bouvet, éd.Les belles –lettres, Coll.P.U.F.(Paris 1949)ch.XXVII,3.

١٠٣ - بوخوس و بوغود هما على التوالي ملكا: موريطانيا الشرقية و موريطانيا الغربية.

104- Vitruve, L'architecture(2vol.), trad.ch.Manfrac, éd.Panckoucke, (Paris1874), liv.VIII, 3, 24.

105 - Cesar, Bell.AF., II, 25; Dion Cassius, XL; 41 , 31; Lucain, Pharsale , IV, p.225.

106 - Mommsen, Hist. Romaine, T.7, P.238.

مجلس الشيوخ،مما دعاه إلى هذا التفكير الذي يكون قد رأى فيه خلاصا من يوغرطة جديد[١٠٧]، و هذا يفهم أيضا من لدور الذي لعبه يوبا الأول في الحرب المدنية،إذ يذكر مومسن أن يوبا سيطر وحده تقريبا على الأوضاع، و حطم وحدات كيريو، بفضل سرعة فرسانه، ورماه النبال العديدين، حيث تكمن قوة جيشه، أما عن أتيوس فاروس الذي لجأ إلى إفريقيا بعد أن فشل في الوقوف في وجه قيصر في ايطاليا، فيذكر مومسن أنه لم يلعب عند يوبا الأول غير دور المرؤوس[١٠٨].

وهو ما نجده أيضا عند لوكانوس الذي يشير إلى هزيمة فاروس في أول لقاء له مع كيريو، الذي استغل فرار فاروس في تجريده من جنوده بقتل معظمهم، و لولا تدخل يوبا لكانت نهاية فاروس[١٠٩].

يبدو أن يوبا، أدرك أنه مدعو ليلعب دورا كبيرا في الصراع الذي نشب في روما آنذاك، والذي ستنتقل عدواه إلى باقي الولايات منها إفريقيا، فكانت أولى اهتماماته بعد توليه الحكم تتمثل في تنظيم قواته، هذه القوات التي كان لها الدور الحاسم أمام قوات كيريو سنة ٤٩ ق.م.

على إثر معركة فارسالوس (يونيو ٤٨ ق.م) و مقتل بومبيوس انتقل كثير من أنصاره إلى إفريقيا لتنظيم أنفسهم و الوقوف مجددا في وجه قيصر ،وهي الظروف التي حاول يوبا استغلالها على ما يفهم من مصادرنا بمحاولة استرداد مقاطعة إفريقيا باشتراط على أنصار بومبيوس، التخلي له عن مقاطعة إفريقيا في حالة الانتصار مقابل الوقوف إلى جانبهم في الصراع الدائر آنذاك[١١٠].

أدرك قيصر خطورة الوضع في افريقيا، و حتى يضمن النجاح لحملته ،عمل على التقرب من ملكي موريطانيا: بوخوس و يوغود، و لتحقيق ذلك تم إعلان يوبا" عدوا للشعب الروماني" في الوقت الذي أعلن فيه كل من بوخوس و بوغود" صديقا و حليفا للشعب الروماني" و منحهما مملكة يوبا حتى يهاجماه من الخلف و يعوقاه بذلك عن تقديم العون لأنصار بومبيوس، خاصة بعد انضمام سيثيوس إلى بوخوس واحتلاله لمدينة قيرطا[١١١]. مما جعل يوبا يحول أنظاره ،وتراجع على رأس جزء من قواته

---

١٠٧ - من الأوصاف التي نعثر عليها عند بعض المؤرخين ليوبا الأول، وصف ميرسيه (المرجع السابق، ص ،٧٤) الذي يصفه بالشجاعة و الجرأة و الميل للعمل العسكري، و النفور من الفتور و الخمول،وهي أوصاف تنطبق كلها على يوغرطة الذي يوصف هو الآخر " بالجرأة و حب العمل" أنظر سالوستيوس ، ٦، ٧.

108 - Mommsen, op.cit, p.238.

109 - Lucain , IV,p.

110 - Cesar, Bell.AF.

١١١ - قيصر، حرب افريقية، XXV

ليحمي مملكته التي هاجمتها أيضا قبائل الجيتول من الجنوب بتحـريض مـن أتبـاع قيصر[١١٢].

هكذا اضطر يوبا أمام هذه التطورات ،إلى توزيع قواته على ثلاث جهات،وهو ما كان جبهات في صالح قيصر، الذي تمكن من السيطرة على الوضع في افريقيا بعـد معركة تابسوس ٦ فبراير ٤٦ ق.م) التي انتحر على إثرها يوبا الأول.

بانتحار يوبا، واستسلام زاما- ريجيا، شرع قيصر في ترتيب أمور افريقيـا، فحوّل الجزء الشرقي منها إلى ولاية رومانيـة جديـدة، عرفـت بـ:" AFRICA NOVA " تمييزا لها عن افريقيا القديمة (AFRICA VETUS)، أما الجزء المتبقي من نوميديا فقد اقتسمه يوخوس وسيثيوس جزاء مساعدتهما لقيصر، فمدّ الأول بـذلك حدوده من وادي الساحل (الصومام) إلى وادي أمساقا(الوادي الكبير) بينما حصل الثاني و أتباعه على مقاطعة في ضواحي قيرطا، جعل منها قيصر حدا فاصلا بـين مملكـة يوخوس وإفريقيا الجديدة.

هكذا يمكننا أن نلاحظ من دراستنا السابقة، أن الخريطة السياسية لنوميـديا ، تعرضت لثلاث تغييرات منذ وصول مسينيسا إلى الحكم سنة ٢٠٣ ق.م حتى وفاة يوبا الأول سنة ٤٦ ق.م و أول هذه التغييرات كان في صالح المملكة التي لم يتمكن العاهل مسينيسا من توحيد شطريها فحسب، بل أكثر من ذلـك اسـتطاع أن يـضم أراضـي قرطاجية، و بذلك امتدت المملكة في عهده لتشمل كل الأراضي الواقعة بين الـسيرت الكبير شرقا و وادي الملوية غربا، باستثناء إقليم قرطاجة.

أما التغيير الثاني، فقد حدث إثر نهاية حرب يوغرطـة (١١١- ١٠٥ ق.م) ، التي و إن لم تفض إلى توسعات رومانية في المنطقة، فقد حصل بوخوس الأول ملـك موريطانيا على معظم الجزء الغربي من نوميديا ،موسعا بذلك حدوده حتى صـلداي، جزاء تعاونه مع الرومان في القضاء على يوغرطة، كما انفصلت لبدة عـن نوميـديا أثناء هذه الحرب.

أما التغيير الثالث، فقد حدث بعد انهزام يوبا الأول في معركة تابـسوس سـنة ٤٦ ق.م، والذي فقد على إثره مملكة نوميديا التي قـسمت علـى الأطـراف الثلاثـة المتعاونة (قيصر – سيثيوس، بوخوس)، إذ حصّل هذا الأخير على الجزء الممتد بـين وادي الساحل(الصومام)، ووادي أمساقا (الكبير)، بينما حصل الثاني على مقاطعة فـي ضواحي قيرطا جعلها قيصر حدا فاصلا بين المقاطعة الرومانية الجديدة التي أنـشأها و مملكة موريطانيا.

[١١٢] - نفسه، XXXII، LV.

بهذا الترتيب يكون قيصر قد وضع حـــدا لمملكـــة نوميـــديا، رغـــم محاولـــة أرابيون(Arabion)ابن مسينيسا الثاني، الذي تمكن سنة ٤٤ ق.م من قتل ســـيثيوس و إبعاد بوخوس من الأراضي التي استولى عليها بعد تابسوس،وأعاد بذلك الحياة مؤقتـــا لنوميديا، لكن سرعان ما يهزم بدوره من طرف حاكم المقاطعة الرومانيـــة ســـنة ٤٠ ق.م بعد أربع سنوات من الحكم.